

تجليات الهوية والوعي بالمكان في الشعر العربي القديم

المدرس الدكتور

سعد سامي محمد

المديرية العامة لتربية البصرة

الاستاذ المساعد الدكتور

جنان محمد عبد الجليل

جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص:-

يناقش هذا البحث تجليات الهوية في الشعر العربي القديم ، إذ يشكل البحث عن الذات همّاً كبيراً لدى الإنسان العربي في عصر ما قبل الإسلام ، ففي ظل منظومة جمعية من القيم والتقاليد النسقية المهيمنة ، التي لا تقبل الجدل أو المساءلة، وترفض أي دور لـ (الأنا) إلا في إطار الـ (نحن) كان لا بدّ لشاعرنا القديم أن يبحث عن كينونته وهويته ، ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف عن دور الأنا وفعاليتها، عبر المعاينة والقراءة الفاحصة لنصوص منتخبة من الشعر العربي القديم، مع الاهتمام باللغة بوصفها أداة الشاعر ووسيلته للتعبير عن أهدافه وغاياته واختار الباحث المكان بعدّه ملمحاً مهماً من ملامح تجلّي الهوية وتبلورها في النص الشعري القديم ، ذلك أنّ الإنسان يتوق دائماً الى حيز مكاني يضرب فيه بجذوره ليجسّد من خلاله هويته ، إذ يُعدّ الارتباط بين الإنسان والمكان عميقاً وحتمياً .

Intimations of Identity and Spacial Awareness in Ancient Arabic Poetry

Asst. Prof. D.r Jinan Mohammad Abdul Jaleel

University in Basrah / College of Arts

Lecturer. Dr Saad Sami Mohammad

General Directorate of Education In Basrah

Abstract:

The search for the self represents a serious concern for the pre-Islamic Arabic man. Due to living under organized collective principles and traditions that are domain and unarguable, and which refuse any role of the (I) except under the frame of (we), it pushed poets to seek their being and identity.

For this reason, this paper tries to find out the role of the Ego and its influence through viewing and examining some selected texts of ancient Arabic poetry, besides giving an attention to the language used as it represents the poet's tool and means to express his aims and wishes. The researcher has chosen the 'place' for being an important feature of the manifestation of identity, and its crystallization in the ancient poetic text as man always longs for a place that he plants his roots in, and through which he finds his identity since the connection between man and 'place' is considered deep and inevitable.

المقدمة :-

تشغل موضوعة الهوية جانباً كبيراً من اهتمامات الإنسان ، فهي الوعاء الذي يتشكّل لدى الذات الإنسانية عبر عمليتي الاتصال والانفصال عن الآخر ، فالمرء يحتاج الى توكيد ذاته ، حينما يتعمّق لديه الانفصال عن الآخر (الفرد / الجماعة) .

وقد يحتاج الى إثبات هويته أيضاً عبر عملية الاتصال مع الآخر (الفرد / الجماعة) ، ومن هنا فالهوية إذن هي (مخترع ثقافي تنشأ من حاجة الفرد لرد الفعل إزاء التحديات التي تواجهه)^(١) .

فهي موضوع إشكالي ينطوي على دلالات مختلفة ثقافية وفلسفية واجتماعية ، ويرى ثومان : أنها ولدت من رحم الانتماء لتردم الفجوة بين إحساس المرء بما هو جدير به وبين ما هو عليه^(٢) ، ويمكن القول : إنه (منذ اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان المقهور بتحدّي الموت والظفر عليه يكون قد قلب من الناحية النفسية الذاتية المحض ، معادلة التسلط أو الرضوخ وانتصر على ذاته ، مما يتيح له الانتصار على قوى القهر فيما بعد)^(٣) .

فعندما تستشعر الذات بعظم المأساة والحيث الذي يعترها إثر استلابية المجتمع وقمعيته لها ، عندها تلجأ الى فعلٍ مناسب لتسترد بعض ماهيتها ووجودها ، ولما كان الإنسان في المجتمع العربي قبل الإسلام يعاني من سطوة الكيان والجمعي / القبيلة وقيمها الهاضمة لحقوقه ، فقد تعززت لديه قيمة الإحساس بالهوية ، وبما أنّ النص الشعري يُعد بمثابة خطاب ثقافي تكشف عبره الذات الشاعرة عن موقفها إزاء المجتمع وقضاياها ، لذا سعى البحث وعبر القراءة الفاحصة لنصوصٍ متخيرةٍ أن يقف عند ملامح تشكّل الهوية وتمظهراتها في النص الشعري القديم ويقع البحث في ثلاثة مباحث ، يتصدرها إيجاز لطبيعة الخلافة بين الهوية والمكان، المبحث الأول بعنوان الهوية والمكان / ساحة الحرب وعرضنا فيه لأهمية المكان وأثره في تبلور الهوية عن عنتره بن شداد وقيس بن الخطيم والحارث بن ظالم المري وبشر بن أبي خازم ، أما المبحث الثاني فيتعرض للرحلة بوصفها وسيلة من وسائل الشاعر الجاهلي لإثبات هويته وقد اختار الباحث من رحلة الصعاليك ميداناً لإثبات أهمية المكان في صنع الهوية مع اختيار أحد نصوص

الحطيئة بوصفه كان يعاني هو الآخر من ازدياد وقمعية المجتمع له فموقف المجتمع منه يكاد لا يختلف كثيراً عن الموقف من مجتمع الصعاليك ، أما المبحث الثالث فعرضنا فيه للمرقبة بوصفها من الأماكن الأثيرة والفعالة لدى الشاعر القديم ، إذ كان كثيراً ما يتخذها ملاذاً حينما تضيق به السبل وينأى عنه الآخرون ، وفي هذا البحث حاولنا أن نقف عند نماذج ونصوص شعرية محددة دفعاً للتكرار ولتشابه التجربة والحالة عند الآخرين من الشعراء .

• التعريف بمفهوم الهوية

إنَّ الهوية من المفاهيم الفلسفية التي يعدُّ البحث فيها أمراً شائكاً ومعقداً ، إذ ليس من السهولة بمكان أن نحيطها بتعريف شاملٍ ومحددٍ ، ويبدو حضورها في حقل الدراسات الإنسانية جلياً ، لأنها خاصة بالإنسان وحده (الفرد ، والمجتمع) والهوية في اللغة : (حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميّزه عن غيره)^(٤) ، أما في الاصطلاح ، فهي : (نسق المعايير التي يُعرف بها الفرد ويُعرّف)^(٥) ، وتبدو الهوية مشكلة نفسية وتجربة شعورية خاصة للنفس لا للبدن^(٦) ، ذلك أنَّ موضوعها أنساني خالص لأنَّ الذات الإنسانية هي وحدها من يستشعر بالاغتراب والاستلاب والحييف إزاء فعل الآخرين أفراداً أو جماعات .

فالهوية تعد وسيلة اتصال ثقافية ووجود وماهية وذات وحدة وانتماء واندماج^(٧) ، وهي تركز على مبدأ الإحساس بالثقة ، الذي ينطلق من الشعور بالأمن الوجودي^(٨) .

وهي أما فردية وتتمثل في إدراك الفرد لسماته الفردية ، التي تكون هويته وتشكلها ، وقد تكون الهوية مشتركة بين الفرد والآخرين عبر صيغة المشاركة الانفعالية في إطار الجماعة^(٩) ، أي تتبلور في صورة تفاعل علانقي مع الآخرين^(١٠) .

والملاحظ انه على الرغم من حداثة هذا المفهوم وحضوره اللافت في حقل الدراسات الاجتماعية والأدبية المعاصرة ، إلا إنَّ له امتدادات في الموروث ، فالهوية من الألفاظ التراثية التي سجلت حضورها في كتب التراث عند الفارابي والجرجاني ، فالأخير يعرفها بأنها : (الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب

المطلق والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء) (١١) .

وهكذا فالهوية ما هي إلا وسيلة خلاص للإنسان من أشكال الاغتراب والاستلاب الذي يعتره جراء فعل الآخرين وموقفهم الضدّي إزاءه .

• تجليات الهوية ونسقية المكان

إنّ العلاقة بين الهوية والمكان علاقة متجذرة ، ذلك أنّ المكان يصنع هوية المرء عبر التفاعل مع أجزائه ، إذ تحاول (الأنا) توظيفه بوصفة عاملاً مؤثراً في تغيير شخصية الإنسان ، فمن خلال وجوده فيه ، قد يتحول من حالٍ الى حال ، فينتصب المرء بطلاً عبر عملية التحول المكاني ، إذ قد لا يكون له وجود خارج النسق المكاني ، فيلجأ الى تأسيس هويته عبر تفاعله مع أرجاء المكان (فالشاعر العربي القديم لم يكن قادراً على قيل الشعر خارج المكان ، الذي كان يملأ عليه نفسه وروحه ، فكان المكان بالقياس إليه بمثابة المادة الكريمة التي يستمد منها إلهامه) (١٢) .

وهكذا يستحيل المكان في وعي الشاعر العربي القديم الى علامة مهمة من علامات تشكّل الهوية ، فالعلاقة بين المكان والذات الفاعلة فيه ، علاقة تشكّل وصبويرة ، فتتغير تلك الصبويرة حسب تغير مستوى الوعي وشكله وحركته في المكان نفسه ، ثم يختلف نتيجة ذلك موقف الفكر أو الشعور من المكان (١٣) ، ويمكن أن نستشف تجليات الهوية عبر العديد من الأمكنة ، منها على سبيل المثال (ساحة الحرب ، والصحراء ، والمرقبة) ، مع الإشارة الى أنه قد يطول استقصاء النصوص التي تقع في هذا الإطار إلا أننا قد وقفنا عند نماذج مختارة تكشف عن فاعلية المكان وأثره في تشكيل وعي وهوية الشاعر العربي القديم ، وقد يتبادر الى الأذهان أهمية الطلل بوصفه احد الأمكنة الشاخصة ، التي أطال الشاعر الجاهلي الوقوف عندها ومع هذا لم يهتم به البحث !

ولعل مرد ذلك في أن الطلل يعني الاندثار والخواء، مما يتناقض مع مفهوم الهوية ، الذي يشير الى مجموعة مميزات ثابتة وصفات جوهرية تمنح الشخص تفرداً وخصوصية .

ونظراً للعلاقة بين المكان والإنسان فإن أي تغيرات قسرية تلحق بالفضاء المكاني من شأنها أن تحدث انشراحاً يحول دون إثبات الهوية ومن أهم هذه المظاهر هيمنة الظواهر الطبيعية وخضوع المكان وافتقاره ، ورحيل الأحبة^(١٤) .

المبحث الأول

• الهوية والمكان / ساحة الحرب

لا تبدو ثيمة الحرب في كل الأحوال فعلاً مدمراً أو مصدراً للاستلاب والموت ، بل قد تبدو فعلاً موجباً وآلية من آليات إثبات الهوية الذاتية أو الجماعية ، إذ قد يتخذ الوعي الشعري من ساحة الحرب ميداناً للبطولة والفعل ، فينتوي على بعد جمالي وقيمي .

• الأنا المقموعة عند عنتره بن شداد في مواجهة الذات القامعة

قد يستحيل المكان في بعض الأحيان الى علامة من علامات الوجود للذات الإنسانية ، فتكشف عبره هويتها ووجودها ، خاصة حينما تجد (الأنا) المقموعة نفسها في مواجهة مع العالم بأسره / القبيلة ، فعنتره قد أقصي عن القبيلة وطرد خارج إطار كيانها الجمعي لأسباب لا يد له فيها !

ومن هنا فقد استحالت ذاته الى ذات مقاومة تسعى الى إثبات ماهيتها عبر الفعل بالمكان ، ف (الأنا) المقاومة لا تستسلم ، بل (تحاول أن تتغلب على عزلتها بوسائل عدة ، كالمعرفة والصداقة والحياة الاجتماعية والبذل)^(١٥) .

والبذل الذي تصنعه الذات هنا هو الفعل الحربي ، ومكانه الطبيعي يتمثل في ساحات المعارك ، (فذات عنتره كانت ممزقة بين هويتها العرقية واللونية والطبقية ، فهو عبد وعربي وأسود له أصل حبشي ، وبهذا فإن الاختبار الذي ينتظر الحسم هو كيف يتخلص عنتره من هذا التمزق بين الهويات المضطربة من هويات تمثل هذا الاضطراب والتعارض (سيد / عبد) (عربي / اسود حبشي) لا يمكن الحسم فيما بينها إلا بالعنف والتبرؤ من أحدهما أو غيرها)^(١٦) .

فالمجتمع العربي آنذاك كانت تتحكم فيه قيم نسقية هاضمة لا تقبل الآخر / المختلف في اللون أو النسب ولا تعترف بهويته ولا تقرّ له بأية شرعية ، لذا كان لا بد ل (الأنا) من فعل مقاوم تواجه به نسقية القيم المضادة ، ذلك أن الهوية ليست شيئاً معطى بل هو شيء يُخلق لا يشعر به كل إنسان على نحو مباشر^(١٧) .

وهنا تأتي البطولة بوصفها الممكن الوحيد ، الذي يمكن ل (الأنا المقاومة) أن تسترد عبرها شرعيتها ووجودها ، ففي البطولة يُعيد الإنسان خلق نفسه من جديد ، لذا يكشف عنتره عن موقفه من العالم / القبيلة ، قائلاً :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً	تَمَكُّوْ فَرِيصَتَهُ كَشَدَقِ ِ الْأَعْلَمِ
هَلَا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا بَنَةَ مَالِكِ	إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالِ سَابِحِ	تَهْدِي تَعَاوَزَهُ الْكُمَاءُ مُكَلِّمِ
طَوْرًا يُعْرَضُ لِلطَّعَانِ وَتَارَةً	يَأْوِي إِلَى حَصِيدِ الْقَسِيِّ عَرْمَرِمِ
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيْعَةِ أَنِّي	أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وَمَدَّجِ ِ كَرِهِ الْكُمَاءُ نِزَالَهُ	لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ	بِمَثْقَفِ صَدَقِ الْكَعُوبِ مُقَوِّمِ
فَتَرَكْتَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ ِ يَنْشَنُهُ	مَا بَيْنَ قَلْبِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ ِ ^(١٨)

يبدو من خلال المكاشفة والقراءة لهذه الأبيات أنّ عنتره أراد أن يصنع له تأريخاً ، ويتخذ موقفاً ضدياً إزاء حالة الرفض ، التي واجهها من الذات القامعة / المجتمع ، فاستحال المكان عنده الى ميدان من ميادين البطولة اثبت من خلاله ماهيته وهويته ، التي لا تتحقق إلا بالعمل على إبداع واقع مضاد للاستلاب ، ف (الأنا) لديه (أنا محاربة) لا تستسلم أمام ضديّة المجتمع لذلك نراها تؤسس لوجودها عبر الفعل في المكان / ساحة المعركة ، فيتراءى عنتره هنا بطلاً لا يُضاهى يسمو ويتفوق على غيره من المحاربين ، الذين تتناهى شجاعتهم أمام بطولته وشجاعته ، محاولاً النيل من الأعداء ، والملاحظ أنّ الذات الشاعرة وفي سبيل اغناء المشهد وتكثيفه وإعطاء الصورة القابلية والقدرة للتأثير في المتلقي ، نراه يجعل من ذاته ذاتاً لا تُقاوم ، إذ يُحيلنا الى مشهد الحرب فيكشف عن

فعله وبطولته : (يخبرك من شهد الواقعة ...) ، والإخبار عن الشجاعة يتأتى عبر المشاهدة ، وهذا دليل على منعة وقوة الذات المحاربة .
وهكذا يتبدى (المكان / ساحة الحرب) بناءً معرفياً يستحضره عنتره عبر الوعي وعبر الفعل ، ويجعل منه عنواناً لهويته ، فيسترد من خلال البطولة شرعيته ووجوده .

• قيس بن الخطيم ... موضوعة الحرب والانتصار المكاني

إنّ الإحاطة بما حول النص يكشف لنا وبإلحاح حاجة الشاعر / قيس بن الخطيم الى البطولة ، وإلى الفعل الحربي ، انتصاراً لأبيه ، الذي قُتِلَ على يد أعدائه*، فيحاول الشاعر في هذا السياق أن ينتصر لذاته ولهويته الفردية والجماعية / القبيلة ، قائلاً:

أضِيع	ثأرتُ عدياً والخطيم فلم
ضربتُ بذِي الزَّرِينِ رُبْقَةَ مالِك	ولاية أشياء جُعلت إزءها
وَسامحني فمها ابن عمرو بن	فأبتُ بنفسٍ قد أصبْتُ شفاءها
عامرٍ	خدّاش فادى نعمة وأفاءها
طعنْتُ ابن عبد القيس طعنةً	
ثائرٍ	لها نفذ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كَفِّي فانهرت فتقها	يرى قائماً من خلفها ما وراءها
يهون عليّ أن ترد جراحه	عيون الأواسي إذا حمّدت
	بلاءها ^(١٩)

لا شك أن الحرب هي الميدان الحقيقي للكشف عن إمكانات الذات ، وإظهار فاعليتها ، فالفكرة المركزية التي يتمحور حولها الخطاب الشعري عند قيس بن الخطيم هي فكرة الانتقام والأخذ بالثأر:

(ثأرتُ ، ضربتُ ، منعْتُ ، ملكْتُ) ، إذ يزدحم النص بضمير الذات ، ف (الأنا) في هذا السياق تؤكد استعلائها ونسقيتها ، إذ ينقضّ الشاعر على الأعداء ويضربهم ضربات

مميتة، حتى ليكاد يطير ما ورائها ، لهولها وشدتها ، وإمعاناً في بيان قوته ، نراه يميل الى تكثيف الفعل البطولي ، فهو لكثرة ما وجّه من ضربات لأعدائه ، نراه يظهر تعاطفه مع خصومه وإشفاقه عليهم ، فالذات الثائرة تُبدي هنا شجاعتها في المكان وتحاول تخطّي حالة الانكسار النفسي ، الذي يجتاحها ، فيستحيل المكان / ساحة الحرب هنا الى علامة تُسهم في تحقيق إحساس الفرد والجماعة بالهوية^(٢٠) ، ثم يميل الوعي الشعري الى سرد بطولاته ، قائلًا :

وكنْتُ امرءاً لا اسمعُ الدهرَ سبّةً ِ أسبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها
واني في الحرب الضروسِ مُوكَّلٌ بإقدامِ نفسي ما أريدُ بقاءها
إذا سقمتُ نفسي الى ذي عداوةٍ فأني بنصلِ السيفِ باغٍ دواءها
متى يأتِ هذا الموتُ لا تبقَ حاجةٌ لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءها
وكانت شجاً في الحلقِ ما لم أبؤبها فأبت بنفسي قد أصبتُ دواءها
وقد جرّبتُ مني لدى كل ماقطٍ دُحِي إذا ما الحربُ أَلقت رداءها
وإنّا إذا ما مُمّتروا الحربَ بلّحوا نُقيمُ بأسبادِ العرينِ لواءها
ونلحقها مبسورةً ضرزنيةً بأسيافنا حتى نُذِلَّ إباءها
وإنّا منعنا في بُعاثٍ نساءنا وما مَنَعَتْ المخزياتِ نساءها^(٢١)

ف (الأنا المحاربة) تبدو فاعلة من خلال الأفعال البطولية ، التي تجربها في المكان ، وذلك أنّ (الإنسان يخضع العلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان باللجوء الى اللغة)^(٢٢) .

فالوعي الشعري يسند الفعل الى الذات والى الجماعة ، الى مَنْ ساعده في الثأر معه لمقتل أبيه وجدّه ، إذ يكثر من تكرار ضميري الذات والجماعة ، ومما لا شك فيه أن التكرار يؤدي وظيفة مهمة داخل القصيدة ، إذ يستثير المتلقي والسامع ، ومن ثم يرفع مستوى الشعور في القصيدة الى درجة غير عادية^(٢٣) .

وهكذا يتبدى لنا أن هدف الشاعر من كل ذلك هو التأثير في الأخر واثبات جدواه في المكان .

• الحارث بن ظالم المري .. واثبات الهوية في مواجهة (الذات المتسلطة / الملك)

لا شك أن الهوية هي التي تحدد كينونة الفرد ووجوده ، ومن هنا فإن إثباتها يُعد أمراً مُلحاً للذات وللجماعة ، ذلك أن سؤال الهوية هو (سؤال مركزي يتوارى ويحضر ويتحایل ويغيب ، يقوى ويضعف وفق السياقات والظروف والحيثيات ، لكنه يبقى في كل الحالات انشغالاً مركزياً بامتياز)^(٢٤) .

ويتجلى هذا الإحساس بقيمة المكان وجدواه لدى الذات الشاعرة هنا عبر تماهيا وذوبانها في الذات الجماعية ، فتبدو أنا الشاعر جزءاً من ال (نحن) ، إذ يقول :

حَسَبْتُ أبا قابوسَ أَنْكَ سَالِمٌ وَلَمَّا تُصِبْ ذَلًّا ، وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ
فَإِنْ تَكُ أَذْوَادُ أَصِبْنَ وَصَبِيَّةٌ فِهَذَا ابْنِ سَلْمَى رَأْسَهُ مُتَّفَاقِمٌ
عَلَوْتُ بِنْدِي الْحَيَاتِ مَفْرُقُ رَأْسِهِ وَهَلْ يَرَكِبُ الْمَكْرُوهَ إِلَّا الْأَكَارِمُ
فَتَكْتُ بِه كَمَا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ وَكَانَ سِلَاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَمَاجِمُ^(٢٥)

يوجّه الشاعر خطابه في هذا السياق الى الآخر (القامع / أبو قابوس) ، الذي يُعرف بسلطويته وجبروته ، فهو هنا يفتخر بأنه قتل الملك ، وفارساً آخر من فرسانه^(٢٦) ، إذ نستشف عبر هذه الأبيات نبرة التحدي والتعالي (حَسَبْتُ أبا قابوسَ أَنْكَ سَالِمٌ) ، إذ يتوسل الشاعر هنا باللغة ويوظفها ليكشف من خلالها عن هويته ، فالشاعر في هذا السياق لا يوجّه خطابه التهديدي للملك في لحظة الحدث فحسب ، بل يمتد هذا الخطاب الفحولي الى كل وقت وحين ، وبدلالة توظيفه لاسم الفاعل (سالم) في البيت الأول ، ولعلّ هذا ما يعزز ويؤكد دور المعاني والكلمات داخل الخطابات الشعرية ، إذ تؤدي هذه المفردات دوراً مهماً من شأنه التأثير في الآخر / المخاطب ، لأن غاية الوعي الشعري هو بث الرعب وإثارة الخوف في الآخر / الملك ، ومن ثم الانتصار ل (أناه والجماعة / القبيلة) .

• بشر بن أبي خازم ... الهوية الجماعية والثبات في المكان

إنّ من مظاهر توكيد الذات لدى الشاعر العربي القديم هو ميله الى تصوير لحظات فرار العدو من سوح الوغى ، إذ تثير تلك الصورة معاني الانكسار والخوار في النفوس ، ويمكن أن نستشف ذلك بوضوح عبر خطاب الشاعر بشر بن أبي خازم ، الذي حاول أن يسخر وينتقص من أعدائه ، قائلاً :

وَبَدَّلَتِ الْأَبَاطِحُ مِنْ قُشَيْرٍ	سَنَا بَكَ يُسْتَنَارُ بِهَا الْغَبَارُ
وَقَدْ ضَمَزَتْ بِجَرَّتِهَا سُلَيْمٌ	مَخَافَتَنَا كَمَا ضَمَزَ الْحَمَارُ
وَلَيْسَ الْحَيُّ حَيٌّ بَنِي كَلَابٍ	بِمُنْجِمِهِمْ وَلَوْ هَرَبُوا ، الْفَرَارُ
وَأَمَّا أَشْجَعُ الْخَنْثَى فَوَلُوا	تَيُوسًا بِالشُّظِيِّ لَهُمْ يُعَارُ
وَحَلَّ الْحَيُّ حَيٌّ بَنِي سُبَيْعٍ	قَرَاضِبَةٌ ، وَنَحْنُ لَهُ إِطَارُ
وَلَمْ نُهْلِكْ لِمَرَّةٍ إِذْ تَوَلَّوْا	فَسَارُوا سَيْرَ هَارِبَةٍ فَعَارُوا ^(٢٧)

إنّ المكان يُسهّم في تشكيل تصوراتنا للأشياء ، وتتجلى قيمته بوضوح عبر الفعل الإنساني ، ويبدو أنّ الشاعر في هذا السياق كان حريصاً على أحداث الفعل في المكان / ساحة الحرب ، إذ سعى الى الإعلاء من شأن (الذات / الجماعة) والانتقاص من الأعداء، فهوية الفرد لا تنفك عن هوية الجماعة التي ينتمي إليها^(٢٨) ، إذ (لا يمكن لهوية أن تعيش في عزلة عن الهويات الأخرى)^(٢٩) ، فالذات الإنسانية تستشعر جدوى الجماعة والحاجة الماسة للانتماء دائماً ، إذ لا يمكن لأي فرد أن يحيا ويؤسس ذاته دون انتماء وتفاعل مع الآخرين .

إذ تحاول (الأنا) أن تسبغ على ال (نحن / القبيلة) معاني القوة والمنعة وتعمل في الوقت نفسه على تجريد العدو من كل إمكانات وجوده وفاعليته ، فإظهار الأعداء هنا في حالة من الضعف والفرع الشديدين وتملكهم الخشية من المواجهة مع قومه . ثم راح الوعي الشعري يُضخّم ويزيد من دور ال (نحن / القبيلة) ويسعى الى كل فعل ايجابي يحقق له الماهية ، ذلك أنّ المرء عبر التوحد مع ال (نحن) ينتصب شامخاً ،

ويصل الى ذروة الاكتمال مانحاً إياها القيمة والفاعلية في الوقوف وبصلابة في وجه مظاهر القهر والاندثار وتمنحه إزاء ذلك القيمة في الاستمرار في الحياة^(٣٠) ، والملاحظ أنّ الشاعر لم يشر هنا الى انكسار قبيلة بعينها ، بل ذكر مجموعة من القبائل (الرباب ، قُشير ، سُليم ،) ، وإمعاناً في إظهار السخرية والاستهزاء بهم ، . نراه يُشبههم بـ (الخنثى فهم لا رجال ولا نساء ، فهم كالتيوس والحُمُر !

ومن هنا يمكن القول : إنّ الفاعلية في المكان تسهم في إبراز معالم الهوية للفرد وللجماعة ، ذلك أنّ الهوية في حقيقتها هي (مسارٌ تكويني يُصاغ بفعل سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيساً للوجود)^(٣١) ، إذ يعمل بشر في هذا السياق الشعري على صياغة الهوية الجماعية ، ذلك ان الشاعر العربي القديم يستشعر قيمة الجماعة / القبيلة ، فهو كلّما أوغل (في مدح قبيلته وقومه ازداد توكيداً لذاته ، فتعصّب للقبيلة يجعله يستمد منها بطولة شخصية لكي يؤكد الذات من خلال جماعية القبيلة الظاهرة)^(٣٢) .

المبحث الثاني

• عالم المكان / الصحراء ورحلة البحث عن الهوية

يتخذ الشاعر القديم من المكان / الصحراء ملاذاً يتوسل به ويلجأ إليه كلما أصابه حيفٌ أو خالجه شعور بالحزن ، فالصحراء تتماشى مع ابسط صورة الحرية فعبورها يتمكن للإنسان أن يجري مجموعة من الأفعال دون أن يصطدم بحواجز وعقبات ، أي قوة ناتجة من الوسط الخارجي لا يقدر على قهرها أو تجاوزها أحد^(٣٣) .

والملاحظ أنّ (الأنا) في كثير من المواقف تمتلك الرغبة في التحدي ورفض الانصياع لتعاليم الذات الجماعية / القبيلة ، فتمتلك العزيمة وتتحوّل من (أنا) مُستلبة مقموعة الى (أنا مقاومة) .

فالشعور بالدونية واللا اعتراف يولد في النفس الرغبة في المواجهة ، لذلك تبدأ في التمرد على جميع تلك القيم النسقية المهيمنة ، التي تتمثل في القبيلة وأعرافها الظالمة ،

وحيثما تصل العلاقة بين الذات والجماعة الى حالة من التأزم والانفصال عندها لا يكون أمام الذات من خيار غير النأي عن المكان .

وتتبدى هذه الصورة بوضوح عند الشعراء الصعاليك ، الذين رفض المجتمع القمعي أن يمنحهم حق الاعتراف والشرعية ، فوجدوا أنفسهم بلا انتماء أو هوية ، لذلك تركوا المكان / القبيلة وتمردوا على كل منظومة القيم الضاغطة التي تتحكم بها ، ذلك أن الهوية تمثل نسقاً من القيم وفي مقدمتها الكرامة ، وأن أي إحساسٍ أو نيلٍ من الكرامة من شأنه أن يفجّرهما^(٣٤) .

فالإنسان عندما يستشعر انه واقع أو في حال من التقليل أو التصنيف الدوني ، كنتيجة لسلوك ومنطق العناصر المهيمنة ، حينها لا يكون له من سبيل سوى المقاومة والوقوف بموقف مضاد ومغاير لمبادئ وقواعد القوى المهيمنة ، ذلك أنّ الشاعر الصعلوك يريد أن يغير العالم من حوله ، فهو يؤمن بقضية ، ولعل هدفه الأساس من كل ذلك هو الثورة على كل القيم الضاغطة (العادات ، التقاليد ، والأعراف) ويحاول أن يؤسس وجوده ، ويصنع له تصوراً يُفضي الى هوية جديدة ومن ثمّ فالهوية لديه تُفهم (كمصدر لصناعة الانتماء الفردي والجمعي وينساق لها بحس قهري محسوم)^(٣٥) .

فالموقف الذي يتخذه الصعلوك يعبر عن وعي جمعي (جماعة الصعاليك) ، الذين يشكلون حركة شعرية لها غاياتها وايدولوجياتها الخاصة بها ، فهي على الضد من الـ (نحن / القبيلة) التي لا تؤمن بغير وجودها بوصفها نظاماً أبوياً لا يرعوي ولا يأبه بالآخرين! ، إذ لا يسمح لهم بأي شكل من أشكال الحرية لا في القول ولا في الفعل ! .

ومن هنا فقد كانت الحركة الصعلوكية ثورة شاملة لم تقف عند حد المطالبة في المساواة ونبذ عنصرية اللون أو الطبقة ، بل تعددت غاياتها الى ابعدها من ذلك ، إذ امتد صدى ثورتهم ولامس جانباً مهماً من جوانب الحياة الثقافية العربية وهو الشعر ، إذ أعطوا لأنفسهم الحق في الثورة والخروج على النظام النسقي الذي يحكم شكل وبناء القصيدة العربية القديمة ، هذا النسق المتجذّر الذي كان عصياً على التغيير ، فالوقوف

على الإطلال كان أمراً حتمياً عند الشاعر القديم غير أن اغلب هؤلاء الشعراء قد تجرأ وأغفل الحديث عن ذكر الديار وتذكر الأحبة .

إذ كانوا يبحثون عن القيمة وعن الوجود والهوية في عالم اللامكان / الصحراء ، فالتحول المكاني يحقق لهم الماهية ، ويدرك الصعلوك أنّ الخطر بنظره ينبثق من العالم الداخلي المحدود ، القبيلة ولهذا فإنّ الإحساس بالانكسار واللااعتراف إزاء فعل ذلك جعله ينأى عنها ويبتعد ، وقد صور ذلك الشعور على شكل (صرخة قوية دفيئة يحقق من خلالها ذاته ويبني لنفسه خلالها عالماً خاصاً يتيح له حرية الاختيار المكاني)^(٣٦) .

فالشاعر الصعلوك إذن قد آثر الصحراء ، وصار يستمد من مظاهر القحل والانمحاء المحيطة بالمكان الجديد معاني ثباته ووجوده ، فاستلابية المكان أهون عليه من ظلم المجتمع آنذاك ، الذي فيه (تحدد القبيلة هوية أفرادها ، وحين يفقد الفرد هذه الهوية أو حين تتحول هذه الهوية الى شبح جائم على الصدر تحاول الذات رغبة في اجتياز أزماتها ، الهروب من هذا المجتمع الى المنائي البعيدة والأماكن المنعزلة)^(٣٧) .

فإحلال ثقافة التوتر والانفصال محل ثقافة الولاء والانتماء للقبيلة يترأى لنا بوضوح في الموقف ، الذي يتخذه الشعراء الصعاليك وغيرهم من الشعراء الذين أحسّوا بوقع المجتمع ورفضه الاعتراف بهم .

• الشنفرى ... ومحاولة البحث عن الهوية المستلبة

يعد الشنفرى من الشعراء الصعاليك ، الذين أصابهم اليأس والانكسار في إطار الجماعة ، إذ أحسّ أنه خارج المكان ، فالقبيلة لا تقر بوجوده ، فتعزز لديه اللاوجود واللاجدوى من البقاء في إطار ال (نحن) ، فاستحالت العلاقة بين الهوية والمكان الى علاقة عكسية عند الشاعر المضطهد (الأنا المقهور) ، إذ كلما نأى عن المكان / مجتمع القبيلة أحسّ بالأمن ، وهذا الأمر هو عكس ما متعارف عليه في ظل المجتمع القبلي الذي يتعزز الانتماء والوجود لدى الذات حينما تلتحم مع ال (نحن) ! .

إذ يكشف الشاعر في قصيدته اللامية عن موقفه الصريح والمعلن في الانفصال عن

القبيلة ، قائلاً

أقيموا بني أمي صُدورَ مطيِّكم فإني الى قومٍ سواكم لأميلُ
 فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقررُ وشُدتِ لطياتِ مطايا وأرحلُ
 وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى وفيها لمنْ خاف القلى متعزِّلُ
 لعُمرِك ما بالأرضِ ضيقُ على امرئِ سرى راغباً أوراهاً وهو يعقلُ^(٣٨)

إن الإحساس باللا انتماء جعل الأنا وعبر محاولتها البحث عن هوية تتخذ خطاباً خلاصياً لتجاوز عبره اغتراباتها وشعورها بالحيف في إطار الـ (نحن) القبيلة ، فيعلن الشنفرى صرخته المدوية بإعلانه التخلي عن مجتمعه القبلي (فإني الى قومٍ سواكم لأميلُ)، فينخرط الشاعر في عالم الصحراء لإنهاء المعنى الأعلى لكل وجود أنساني^(٣٩) .

ف (أنا) تتحول من (أنا) خاضعة مستلبة ومنقادة للآخرين الى (أنا) متمردة وثائرة تتجاوز النسق العام لتقاليد وأعراف القبيلة .

فأنا هنا لا تبحث عن انوميا وفرديتها بل تسعى الى تغيير العالم وتدمير آثار التركيبية الطبيعية للقبيلة من اجل إنقاذ نفسها وإنقاذ الآخرين من المسحوقين والمحرومين^(٤٠) .

فأراد الشاعر عبر هذا الإعلان (وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى) أن يؤسس لهوية جديدة وانتماء جديد ، هوية قائمة على التحدي لا الخضوع ، عبر الاندغام في مجتمع يتأسس على هويات فردية (بدلاً من مجتمع القبيلة الذي لا هوية له ، مجتمع المواصفات والمصطلحات)^(٤١) .

فمارس الشنفرى سلطته الجديدة في ظل مجتمعه الجديد وأعلن رفضه لنسقية القيم للقبيلية السائدة ، ولعل احتشاد النظام القبلي بكل تلك الأعراف والتقاليد الهاضمة لحرية الفرد ولوجوده جعلت الشاعر يعلن عن البديل ، قائلاً :

ولي دونكم أهلون : سيدٌ عملسُ وارقط زهلول وعرفاء جئيلُ
 هم الأهل لا مستودع السرِّ ذائعُ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذلُ
 وكلُّ أبي باسلٍ غير أني إذا عرضتُ أولى الطرائد أسبلُ
 وإنْ مُدَّت الأيدي الى الزاد لم أكن بأعجلهم إذا اجشعُ القوم أعجلُ
 وما ذاك إلا بسطةٌ عن تفضلٍ عليهم وكان الأفضل المتفضلُ^(٤٢)

ومثلما أن الهوية تأسيس جديد لدى الشنفرى ، لذلك فإن الانفصال عن مجتمع القبيلة لا يعني النأي عنهم فحسب ، بل نراه يتخذ موقفاً لا يخلو من الدهشة والغرابة ، إذ يستبدل عالمه الإنساني بعالم آخر هو عالم الحيوان ، وهذا ما يؤكد حدّة الألم والإحساس بالمرارة في ظل النظام القبلي الذي لم يستشعر فيه بأي معنى من معاني الانتماء ، مجتمع تحكمه الطبقية ويخضع لقانون التمايز ، لا يساوي بين الناس على أساس عادل فاختر مجتمعاً جديداً يمكن أن يؤسس عبره هويته (هم الأهل) ، هذا المجتمع يمكن للذات ان تشعر في ظله بالأمن والانتماء فمجتمع الوحوش هذا لا تفتشى فيه الأسرار ولا يخذله فيه أحد ! .

ثم يفصل لنا الشاعر ويسرد لنا أوصاف أعضاء مجتمعه الجديد ، قائلاً :

وإني كفاني فقد من ليس جازياً	بحسن ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب : فؤاد مشبع	وابيض إصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون تزيتها	رصائع قد بيطت إليها ومحمل
إذا زل عنها الهم حنت كأنها	مرزاة عجلي ترن وتعول
وأعدوا خميص البطن لا يستفزني	الى الزاد حرص أو فؤاد موكل
ولست بمهياف يعشي سوامه	مجدعة سقبانها وهي بهل

.....

أديم مطال الجوع حتى أميته	وأضرب عنه الذكر صفحاً فاذهل
واستف ترب الأرض كيلا يرى له	علي من الطول امرؤ متطول ^(٤٣)

وهكذا فالشنفرى يكشف لنا هويته الجديدة في ظل مجتمعه الجديد فيكفيه عن مجتمعه وقومه الذين لا يجزون عنه خيراً ولا يقدرّون المعروف والبديل عنهم : قلب شجاع وسيف صارم مجرد غمده ، وقوس طويلة العنق ملساء التي لا عقد فيها فتؤدي اليد ، وهكذا فالشنفرى يكشف لنا عن مجتمعه الجديد الذي يؤسس عبره ذاته ويتخذه ملاذاً على الرغم من حالات الفقر المقذع إلا انه يفضل على حياة الذي في إطار القبيلة التي لا تقر له بوجوده ! .

ويكشف لنا عن أخلاقه فهو مع كل ما يستشعر من حاجة وفقر إلا انه يترفع عن طلب الزاد الذي يترفع عن السعي إليه وطلب ما لم يكن يقابله احترام كرامة النفس .

• الحطيئة ... ورحلة البحث عن الهوية

تكشف حركة الأنا / الشاعر في عالم الصحراء عن قصيدة واضحة . إذ يسعى عبرها الى إثبات هويته بعد ما استحالت التقاليد القبلية الى انساق مهيمنة جرّدت الشاعر من فاعليته وأنكرت وجوده بوصفه واحداً من أفرادها ، ونلتمس ذلك في قول الحطيئة :

وَصْرِيْمَةٌ بَعْدَ الْخِلَاجِ قَطَّاعَتْهَا	بِالْحَزْمِ او جَعَلْتِ رِحَاهُ تَدَوْرُ
بِجَلَالَةٍ سُرْحِ النَّجَاءِ كَأَنَّهَا	بَعْدَ الْكَلَالَةِ بِالرِّدَافِ عَسِيرُ
وَرَعَتْ جَنُوبَ السِّدْرِ حَوْلًا كَامِلًا	وَالْحَزْنَ فِيهِ يَزِلُّ عَنْهَا الْكُورُ
فَبَنَى عَلَيْهَا النَّيَّ فِيهِ جَلَالَةٌ	مَا إِنْ يَحِيْطُ بِجَوَازِهَا التَّصْدِيرُ
وَكَأَنَّ رَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبِ قَارِحٍ	بِالشَّيْطَانِ نُهَاقُهُ تَعَشِيرُ
جَوْنٌ يَطَارِدُ سَمَجًا حَمَلَتْ لَهُ	بِعَوَازِبِ الْقَفَرَاتِ فِيهِ نَزُولُ
وَكَأَنَّ نَقْعَهُمَا بِبُرْقِهِ ثَادِقٍ	وَلَوْى الْكَثِيبِ سُرَادِقُ مَنْشُورُ
يَنْحُو بِهَا مِنْ بُرْقِ عَيْمٍ طَامِيَا	زَرَقَ الْجَمَامِ رِشَاؤُهُنَّ قَصِيرُ
وَرَدًا وَقَدْ نَفَضَا الْمِرَاقِبَ عَنْهُمَا	وَالْمَاءُ لَأَسْدَمُ وَلَا مَحْضُورُ
أَوْ فَوْقَ أَخْنَسِ نَاشِطٍ بِشَقِيْقَةٍ	لَهَقِيْ بَغَائِطِ قَفْرَةٍ مَحْبُورُ
بَاتَتْ لَهُ بِكَنْيَبِ حَرْبِهِ لَيْلَةٌ	وَطَفَاءٌ بَيْنَ جَمَادَتَيْنِ دَرُورُ
خَرَجَا يَلَاوِذَ الْكِنَاسِ كَأَنَّهُ	مَتَطَوَّفٌ حَتَّى الصَّبَاحِ يَدُورُ
فَالْمَاءُ يَرْكَبُ جَانِبِيهِ كَأَنَّهُ	قُشْبُ الْجِمَانِ وَطَرْفُهُ مَقْصُورُ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيْحُ شَقَّ عَمُودَهُ	وَعَلَاهُ اسْطَعَّ لَا يُرَدُّ مَنِيْرُ
أَوْ فِي كَانِ عَقْدِ الْكَثِيبِ كَأَنَّهُ	وَسَطَ الْقِدَاحِ مُعَقَّبٌ مَشْهُورُ
وَحَصَى الْكَثِيبِ بِصَفْحَتِيهِ كَأَنَّهُ	خُبْتُ الْحَدِيدِ أَطَارَهُنَّ الْكَيْرُ ^(٤٤)

أنّ المتأمل في هذا النص الشعري يتكشّف له الموقف الضدّي الذي يتخذه الحطيئة إزاء موقف المجتمع الرافض له ، إذ يقابله وينطلق عبر المكان / الصحراء فوق ناقة ضخمة قوية تُؤمّن له القدرة على تخطّي استلابية المكان ، ثم يعرض للحديث عن الثور الذي يواجه أعباء الصحراء وظروف الطبيعة القاهرة ، ثم في نهاية المطاف يُظهر لنا تمكن الثور في التغلب على كل تلك الصعاب بإشراقة يوم جديد ، والملاحظ أنّ الناقة أو الثور أو حمار الوحش يستحضرها الشاعر للتعبير عن ذاته ، إذ يقول الدكتور مصطفى ناصف في هذا الصدد : (والحيوان في كثير من الأحيان صورة رمزية)^(٤٥) ، يستعين بها الشاعر ليكشف لنا عن موقفه من الآخرين ، فكما يقول كولردج : إنّ الشاعر في لحظة الرؤيا يرى في الطبيعة المحسوسة رموزاً لحياته الباطنية التي تعكس تجربته الروحية^(٤٦) . وهكذا فإنّ الحطيئة وإزاء حالة المستحيل والانفصال بينه وبين قومه نراه يحاول البحث عن هويته ووجوده عبر الاندغام مع الطبيعة ، فالفنان الذي يبقى مشدوداً الى الطبيعة بأواصر كثيرة يندمج في الموضوع ، يؤمن به ، ويعده مطابقاً في الهوية بأنّاه ، بل لأنّاه الأكثر أهمية^(٤٧) .

فالمكان إذن يستحيل الى ملاذ للذات يمكنها عبر الحركة فيه أن تستعيد وجودها وتشكل هويتها من جديد .

المبحث الثالث

• الشاعر القديم وتحدي استلابية المكان / المرقبة

إنّ إدراك المكان يحقق للذات معرفتها بنفسها ، ومن هنا فقد اهتم الشاعر الجاهلي بتفحص جوانبه وأرجائه ، واختار من الأمكنة ما يتناسب مع حالته وقدراته ، لتكون ميداناً لفعله ، وتعد المرقبة من أهم الأمكنة التي وقف عندها الشاعر العربي القديم ، واختارها ليعبر عن حالة الرفض للواقع المأزوم .

وقد بدأ الاهتمام بوصف المراقب منذ العصر الجاهلي وامتد الى عصر صدر الإسلام ومال بعض الشعراء الى وصف المراقب حتى استحال هذا الموضوع الى ظاهرة عند كثير من الشعراء الذين عانوا من وطأة المجتمع ونحاول هنا أن نقف عند بعضهم .

• المكان / المرقبة وتجليات الهوية عند الشنفرى

يسعى الشنفرى الى إثبات ذاته عبر التفاعل مع أجزاء المكان / المرقبة قائلاً :

وَمَرْقَبَةٍ عَنقَاءٍ يَقْصِرُ دُونَهَا	أخو الضَّرْوَةِ الرَّجُلِ الْحَفِيِّ الْمُخَقَّفُ
نَمَتْ إِلَى أَدْنَى ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا	مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفٌ الْحَدِيقَةَ أَسْدُفُ
فَبِتُّ عَلَى حَدِّ الذَّرَاعِينَ مُجْزِيَا	كَمَا يَتَطَوَّى الْأَرْقَمُ الْمُتَعَطَّفُ
وَلَيْسَ جِهَازِي غَيْرُ نَعْلَيْنِ أُسْحَقْتُ	صُدُورَهُمَا مَحْصُورَةً لَا تُخَصِّفُ
وَفُنْيَةٍ جُرْدٍ وَأَخْلَافٍ رِيْطَةٍ	إِذَا أَنْهَجْتَ مِنْ جَانِبٍ لَا تُكْفَفُ
وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَيَّنَدٌ	مُجْذِبٌ لِأَطْرَافِ السَّوَاعِدِ مُقَطَّفُ
وَحَمْرَاءُ مِنْ نَبْعِ أَبِي ظَهِيرَةٍ	تَرْنُ كَارِنَانَ الشَّجِيِّ وَتَهْتَفُ
إِذَا طَالَ فِيهَا النَّزْعُ نَابِي بَعْجَسِهَا	وَتَرْمِي بِذُرُومِهَا بَهَنً فَتَقْدَفُ
كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسِهَا	عَوَازِبُ نَحْلِ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنَفُ
نَأَتْ أَمَّ قَيْسِ الْمَرْبَعِينَ كَلِمَهَا	وَتَحْذِرَانِ يِنَايَ بِهَا الْمُتَصَيِّفُ
وَإِنَّكَ لَوْ تَدْرِينَ أَنَّ رَبَّ مَسْرَبٍ	مَخُوفٍ كِدَاءِ الْبَطْنِ أَوْ هُوَ أَوْخُوفُ
وَرَدَنَ بِمَأْثُورٍ يَمَانٍ وَضَالَةٍ	تَخَيَّرْتَهَا مِمَّا أَرِيدُشْ وَارْصَفُ
أَرْكَمَهَا فِي كَلِّ أَحْمَرَ غَاثِرٍ	وَأَقْدَفُ مِنْهُنَّ الَّذِي هُوَ مُقْرَفُ
وَتَابَعْتُ فِيهِ الْبَزِي حَتَّى تَرَكْتَهُ	يَزْفُ إِذَا أَنْقَذْتَهُ وَيَزْفَزْفُ
بِكَفْيٍ مِنْهَا لِلْبَغِيضِ عَرَاضُهُ	إِذَا بَعْتُ خَلَا مَا لَهُ مَتَخُوفُ
وَوَادٍ بَعِيدٍ الْعَمَقِ ضَنْكٍ جَمَاعُهُ	بِوَاطِنِهِ لِلْجِنِّ وَالْأَسَدِ مَأْلَفُ
تَعَسَّ فَتُ مِنْهُ بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى	غَمَالِيلَ يَخْشَى غَيْلَهَا الْمُتَعَسِّفُ
وَإِنِّي إِذَا حَامَ الْجَبَانَ عَنِ الرَّدَى	فَلِي حَيْثُ يُخْشَى أَنْ يَجَاوِزَ مُحَسَّفُ ^(٤٨)

يبدو أنّ المرقبة كانت مكاناً مهماً لدى الشاعر القديم يتحصّن به ويشعر من خلاله بالمنعة والأمان ، فهي عزاء الصعلوك ويجدها مكاناً مناسباً للتعويض عن حالة الفقد في ظل القبيلة ، إذ تعد من الأمكنة الوعرة ، التي لا يمكن بلوغها بسهولة ، فقد يعجز الصائد المتمرس الذي تُحيط به كلاب الصيد أن يبلغها ، غير أنّ الشنفرى يتخيرها ويصل إليها ، إذ تمنحه عُورتها فرصة للإختباء والهرب من الأعداء .

إذ وجد فيها الشاعر ذاته المقموعة ، فعلى الرغم من استلابية المكان إلا أن الشنفرى يرتقيها ليلاً ، وفي ذلك إدراك لذاته وتعبير عن منعته واستعادة لهويته المقموعة ، لأهميتها نراه يستهل قصيدته بها

وهكذا (فإنّ الهوية : تفرزها هذه الحالة الايجابية ، التي تنعكس من خلال علاقة الأنا (الذات) بمفرد معين في داخل العالم)^(٤٩) .

ف (الأنا الشاعرة) تجد عبر تفاعلها مع (المكان / المرقبة ذاتها وتثبت هويتها لأنّ الهوية هي فعل أنساني يمكن للذات أن تحققه عبر الفعل ، ونستشف ذلك جلياً في هذا النص الشعري ، إذ ثبت الشنفرى تفرده وقدرته على الفعل في المكان دلاليّاً عبر مجموعة من أفعال الذات : (نميئُ ، بتُ ، وردتُ ، تابعتُ ، تعسفتُ) ، فالشاعر يمارس في هذا السياق إجرائية الرفض والتمرد على النظام النسقي للقبيلة ، وسعى الى خلق هوية جديدة متخذاً من المكان / المرقبة ميداناً للفعل .

ولأنّ الهوية ترتكز على مبدأ الإحساس بالثقة^(٥٠) ، نراه يسعى الى خلق واقع جديد ينطوي على مظاهر القوة والفاعلية ، هذا الواقع يجسد فيه معاني البطولة ، ولهذا يسعى الى امتلاك أدواتها (السيف القاطع والقوى القوية والسهام المميّنة) ، الأبيات (٦ – ٩) .

ف (الأنا) قبل أن تخلق لها واقعاً جديداً بامتلاكها المكان / المرقبة حاولت أن تفعل المستحيل لأنّ الإنسان يصبوا الى رقعة يضرب فيها بجذوره تتأصل فيها هويته وتكشف الأنا عن معاناتها في رحلتها عبر المكان ، فتحاول تجاوز سلبيات المكان فيستحضر لنا الشاعر صورة الوادي الذي يزدحم بالوحوش الكاسرة الأبيات (١٦ – ١٧) .

وتبدو إن صورة الوادي هي تمثيل لواقعة المأزوم في ظل القبيلة إذا لم يكن يستشعر وجوده الإنساني لهذا فإن تخطي استلابية المكان وارتقاء المرقبة هي عملية خلق لوجود جديد فليست الهوية سوى نسقٍ من القيم في مقدمتها الكرامة ، وإن أي مس أو نيل منها من شأنه أن يعيد صياغة الهوية من جديد وفي صورة مغايرة لصورتها المستقبلية السابقة ، لأنّ الهوية الحارسة للوجود والضامنة لبقائه^(٥١) ، فالمكان إذن هو المعنى الملازم لوجود (الأنا) والوسيلة لتحقيق عبره أهدافها وهويتها .
ويعبر أبو خراش عن ذاته ، ويبرز هويته في بائيته ، قائلاً :

لستُ لمرةً إن لم أوف مرقبةً	يبدولي الحرفُ منها والمقاضيْبُ
في ذات ربي كذلق الفأس مشرفة	طريقها سربً بالناس دُعبوبُ
لم يبقَ من عرشها إلا دعامتها	جدلانٍ : منهدمٌ منها ومنصوبُ
بصاحبٍ لا تنالُ الدهر غرتهُ	إذا أفتلى الهدفَ القنَّ المعازيبُ
بعثته بسوارِ الليل يرقبني	إذ آثرَ النومَ الدفاءَ المناجيبُ
يظلُّ في رأسها كأنه زُلْمٌ	من القداح به ضرُسٌ وتعقيبُ
سَمَحٌ من القومِ عريانٍ اشاجعه	خَفَّ النواشِرُ منه والظنابيْبُ ^(٥٢)

تكشف الذات الشاعرة في هذا النص عن كينونتها عبر الحركة وعبر الفعل ، وتعبر عن رفضها للأعراف والتقاليد القبلية الهاضمة ، وإزاء ذلك يرتقي المرقبة دون أن يأبه بالمخاطر ، فعندما (يبرز الأنا المخاطر بالنفس في مواجهة المهالك يتضح له مجال واسع للإشادة بالنفس والفخار بها)^(٥٣) .

لستُ لمرةً إن لم أوف مرقبةً ← لم يبقَ من عرشها إلا دعامتها ← يظلُّ في رأسها كأنه زُلْمٌ
يبدو أبو خراش حريصاً في هذا السياق على إثبات ذاته ووجوده ، وهو هنا لم يرتقي المرقبة وحده ، بل بصحبة صديقه ، الذي لا يرضى أن يكون عبداً ذليلاً خاضعاً لسلطة القبيلة ، بل أثر أن يكون صعلوكاً حراً يفعل ما يشاء ، وهكذا فإنّ الحركة عبر المكان /

المرقبة تعد تعبيراً عن نسق مضمر ينطوي عن رغبة ملحة من الشاعر الصعلوك في تخطي واقعة المأزوم وفرض واقع جديد يعيد له ذاته المتصدعة .

• فاعلية المكان / المرقبة وأثره في تشكيل الهوية في رؤية لبيد

يستحضر لبيد موضوعه المرقبة في سياق تأكيد البطولة في معلقته ، إذ يقول :

ولقد حَمَيْتُ الحَيَّ تحمِلُ شَكَّتِي	فُرُطٌ وشَاحِي إذ غَدَوْتُ لجامها
فعلوتُ مرتقباً على ذي هبوةٍ	حَرَجَ الى أعلامهنَّ قتامها
حتى إذا أَلَقْتُ يداً في كافرٍ	وأَحَنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامها
أسهلتُ وانتصتُ كجزع منيفة	جرداء تحضُرُ دونها جُرامها
ترقي وتطعنُ في العنان وتنتجي	وِرْدُ الحمامةِ إذا جدَّ حَمَامُهَا ^(٥٤)

تنحاز هوية الذات الشاعرة في هذه الأبيات الى الجامعة وتتجلى فيها معاني الإنسانية بوصفها المدافعة عن القيم محاولة إنقاذ ذاتها وإنقاذ الآخرين (ولقد حَمَيْتُ الحَيَّ) (الأنا) X ال (نحن) ، ولما كان الفعل لا يتجلى إلا عبر المكان نجد ان الذات الشاعرة تقرن البطولة في البيت الأول بالمكان / المرقبة .

حَمَيْتُ الحَيَّ ← فعلوتُ مرتقباً

وكأن ارتقاء المرقبة يبلغ بالذات أعلى مراتب القوة والمتعة وفيها تصبح الذات مؤهلة للدفاع عن هويتها وعن الآخرين !

فعلوتُ مرتقباً ← أسهلتُ منتصباً ب / ٣

فبعد اعتلاء المرقبة تنطلق الذات لتمارس دورها الانساني عبر فرس قوية سريعة تشبه النعام في انطلاقتها والحمامة في خفة تحليقها وطيرانها .

وهكذا شكّل المكان / المرقبة في وعي الشاعر القديم مرتكزاً أساسياً من مرتكزات تشكل

الهوية .

• المكان / المرقبة وتجليات الهوية في رؤية زهير بن أبي سلمى

شكّل المكان / المرقبة في بعض نصوص زهير بن أبي سلمى الشعرية ظاهرة لافتة للانتباه ، إذ يستعين به ليستكمل من خلاله أبعاد شخصيته قائلاً :

أبتَ ذكرُ من حبّ ليلى تعودني	عياد أخي الحُمى ، إذا قلت : اقصر
كانّ بغلانّ الرسيس ، وعاملُ	ذرى النخل تسمو والسفين المقيرا
ألم تعلمي أني إذا وصل خلة	كذاك تولي كنت بالصبر أجدرا ؟
ومستأجد ، يندى كأنّ ذبابه	أخو الخمر هاجت حزنه فتذكروا
هبطت يملون كأنّ جلاله	مضّت عن أديم ليلة الطل احمر
أين الشوى شحط إذا القوم أتوا	مدى العين شخصاً كان بالشخص ابصرا
كشاه الارن الاعقر انخرجت له	كلابٌ رآها من بعيد فاحضرا
وخالي الجبا أوردته اللؤم فاستقوا	بسقرهم من أجنّ الماء صقرا
رأوا لبتاً منا عليه استقاؤنا	دري مطايا نأيه ان تخمرا
وحرقت يصح العدد ان يستبينه	إذا أورد لمجهوله القوم اصدرا
ندى بجفافيه الرزايا دمتنه	قياماً يعطعن العريف المفترا
تركت به من اخر الليل موضعي	فرشي ومُلقي المشمرا
ومثنى نواج ضميرٍ جدليه	عجفن اليماني لها قد تحرا
ومرقبة عرفاء اوفيت مقعرا	لاستأنس الايشاح منها وانتظرا
على عجل فيا غشانا وقد دنا	ندى الليل واحمر النهار فادبرا ^(٥٥)

يستهل زهير بن أبي سلمى عن المرأة الراحلة التي هجرته وتركته وحيداً ويبدو أن زهيراً لم يكتفِ بذرف الدموع إزاء هذا الرحيل ، بل يحاول أن يخلق له شخصية وهوية قوية قادرة على مواجهة الرحيل ، فيتحول الى تشكيل ذاته وبنائها على نحو مغاير لموقف الآخر / المرأة ، فتحل المرأة ورحيلها عنه قابله بموقف ضدي وهو الهبوط في وادٍ مهولٍ تسكنه الوحوش والأوابد .

هبطت يملون كأنّ جلاله ب / ٥

واستكمالاً فظاهر الجلال والقوة ، نراه يقود بعض أصحابه الى بئر مهجورة ليس فيها غير الوحوش ، وهكذا يبدو أنم زهيراً حاول ان يخلق له هوية جديدة في عالم اللامكان / الصحراء لأنّ الهوية تتفجر عندما يشعر الإنسان بالاستلاب والقهر والفقدان ، فالشاعر هنا قد أحسن بفقدان الكرامة ، حينما أثرت الحبيبة أن تهجره وإزاء ذلك سعى الى اتخاذ موقف بجانب موقفها وان يسترد ذاته عبر نسق وخلق جديد من خلال الفاعلية والوجود في المكان / الصحراء ومحاولة في تأسيس الذات في استكمال أجزاء الهوية لم يقف الوعي الشعري عن هذا الفعل فحسب ، بل نراه يرتقي المرقبة ، لأنها تزيل قيمة ايجابية ذات أبعاد جمالية ، فمن يمتلكها ويصل الى ذروتها يكون قد استكمل مظاهر قوته وجلاله .

وهكذا اثبت البحث عبر المعاينة والمتابعة لنصوص مختارة فاعلية المكان / المرقبة وجدواه في تشكيل هوية الإنسان في عصر ما قبل الإسلام وهو يواجه أشكالاً من مظاهر الحيف والهضم تكاد تستولي عليه وتفقدته وجوده ! .

• الخاتمة

أثار البحث قضية الهوية ، بوصفها تمثل جانباً مؤثراً في وعي الشاعر العربي لقديم ، وقد تكشف لنا عبر القراءة الفاحصة لنصوص منتخبة من موروثنا الشعري أهمية المكان بكونه مجالاً رحباً للذات الشاعرة ، بعد أن تفاعلت معه وسعت الى إثبات هويتها عبر تواجدها فيه أو نأيها عنه ، وقد اهتم البحث ببعض الأمكنة دون غيرها ، مثل (ساحة الحرب ، والصحراء ، والمرقبة) كونها من أكثر الأماكن التي يمكن أن ترصد عبرها حركة الذات ، خصوصاً وان الشاعر العربي القديم كان يحيا في ظل واقع مأزوم لا يهتم كثيراً بـ (الأنا) ، بل ان إبراز الكيان الجمعي للقبيلة هو غايته وأقصى ما يتمناه ، وقد رصد البحث عبر هذه الأمكنة حركة (الأنا) وسعيها الدؤوب في إبراز ذاتيتها وهويتها من خلال الثورة والتمرد على واقعها والرغبة الملحة المتولدة لديها في خلق واقع جديد يحقق لها الماهية ويبرز هويتها .

وهكذا بدت لنا أهمية المكان / ساحة الحرب بوصفها عاملاً للإيجاب ومصدراً للفاعلية واسترداد الوجود ، كما كشف البحث أهمية الصحراء للشاعر الصعلوك الذي أثبت عبرها ذاته بعد ما همشتها القبيلة وأقصته بقوانينها الهاضمة ، وكانت المرقبة هي الأخرى الميدان المناسب للشاعر الصعلوك للتعويض عن حالة الانفصال عن المجتمع .

• الهوامش

- ١- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة ، د. عبد الله الغدّامي : ٥٥ .
- ٢- المصدر نفسه : ٤٦ .
- ٣- التخلف الاجتماعي ، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي : ٥٥ .
- ٤- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات وآخرون : ٩٩٨ .
- ٥- الهوية ، أليكس مكشيللي : ٧ .
- ٦- الهوية ، حسن حنفي : ١١ .
- ٧- ينظر : الهوية والسرد ، بول يكور : ١٩ .
- ٨- ينظر : الهوية ، أليكس مكشيللي : ٩٠ .
- ٩- ينظر : المصدر نفسه : ١٠١ .
- ١٠- ينظر : موسيقى الموت الأزرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، ادونيس : ٢٤ .
- ١١- معجم التعريفات ، الجرجاني ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي: ٢١٦ .
- ١٢- السبع المعلقة ، مقارنة سيميائية ، انثروبولوجية لنصوصها ، د. عبد الملك مرتاض : ٩٣ .
- ١٣- ينظر : المكان في شعر الحرب ، محمد صادق جمعة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ : ٢٥ .
- ١٤- المكان في معلّقة امرئ القيس ، قراءة هيرمونيطيقية ، عبد الله محمد العابدي : ١٨٣ .
- ١٥- العزلة والمجتمع ، نيقولاى برديانف ، تر: فؤاد كامل عبد العزيز : ٩٥ .
- ١٦- تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيّل الوسيط) ، د. نادر كاظم : ٣٧٧ .
- ١٧- الهوية ، د. حسن حنفي : ٢٣ .
- ١٨- الديوان ، تحقيق ودراسة ، محمد سعيد مولوي : ٢٠٧ - ٣١٠ .
- * ينظر: ديوان قيس بن الخطيم .
- ١٩- الديوان : ٤٤ - ٤٧ .
- ٢٠- ينظر: الوعي بالمكان ودلالته ، شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول ، مجلد (٣) ، العدد (٤) ، ١٩٩٥ : ٢٦١ .
- ٢١- الديوان : ٤٩ - ٥١ .

- ٢٢- بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا قاسم : ٨٠ .
- ٢٣- ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة : ٢٣٠ .
- ٢٤- مدارات المنفتح والمنغلق في التشكلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية ، أراق سعيد، مجلة عالم الفكر، عدد (٤) ، مجلد (٣٦) ، ابريل ، يونيو، ٢٠٠٨ : ٢١٥ .
- ٢٥- المفضليات ، تح : أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون ، المفضلية ٨٨ : ٣١٢ .
- ٢٦- ينظر: القصيدة الجاهلية في المفضليات ، د، مي يوسف خليف : ٣٥ .
- ٢٧- الديوان : ٧٠ - ٧٢ .
- ٢٨- ينظر: خطاب الهوية ، سيرة فكرية ، د. علي حرب : ٤٧ .
- ٢٩- سياسة جديدة للهوية ، المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، بيكو باريك ، ترجمة حسن محمد فتحي : ٥٧ .
- ٣٠- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، د. كمال أبو ديب : ٤٥٨ - ٤٦٨ .
- ٣١- الهوية والسرد ، بول ريكور : ٦٠ .
- ٣٢- الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي ، د. صلاح عبد الحافظ : ٤١٦ .
- ٣٣- ينظر: مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ، ترجمة ، سيزا قاسم : ٨٢ .
- ٣٤- ينظر: الهوية ، د. حسن حنفي : ٥٨ .
- ٣٥- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة : ٥٥ .
- ٣٦- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام ، حيدر لازم مطلق ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ : ٢٣٦ .
- ٣٧- البطل الضد في شعر الصعاليك ، دراسة أسلوبية وظيفية ، هند عبد الرزاق المطيري : ٣٠٩ .
- ٣٨- الديوان : تحقيق ، اميل بديع يعقوب : ٥٨ - ٥٩ .
- ٣٩- كلام بدايات ، ادونيس : ٩٣ .
- ٤٠- ينظر: الرؤى المقنعة ، كمال ابو ديب : ٥٨٢ - ٥٨٣ .
- ٤١- الزمان الوجودي ، عبد الرحمن بدوي : ٣٩ .
- ٤٢- الديوان : ٥٩ - ٦٠ .

- ٤٣- الديوان : ٦٠ - ٦٢ .
- ٤٤- الديوان ، تحقيق : نعمان محمد أمين طه : ١٤٤ - ١٤٧ .
- النّيّ : الشحم ، الجوز : الوسط ، الأحقب : الذي بموضع الحقب منه البياض ، شادق ، عَمَم :
- موضعان ، طامي : مرتفع ، لهق : أبيض ، حَزْبَة : بلد .
- ٤٥- دراسة الأدب العربي ، د. مصطفى ناصف : ٢٧٣ .
- ٤٦- ينظر: الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم ، سمرالديوب : ٥٢ .
- ٤٧- الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي ، تأليف : هيغل ، تر: جورج طراييشي : ٤١٥ .
- ٤٨- الديوان ، تحقيق : " إميل بديع يعقوب : ٥٣ - ٥٥ .
- المرقبة : مكان المراقبة ، أخو الضروة : الصياد مع الكلاب ضراها العبد ، لغبتُ : رفعتُ رأسي ، مجذباً : ثابتاً وقائماً ، وظنية : مكانها ظبية ، الربطة : كل ملاءة من نسيج وقطعة واحدة ، الحمراء : القوس ، البنع : شجريتخذ منه القي ، الإرنان : الصياح بالبكاء .
- ٤٩- موسوعة الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي : ٢ / ٥٦٩ .
- ٥٠- ينظر: الهوية ، أليكس مكشيللي : ٩٠ .
- ٥١- الهوية ، حسن حنفي : ٥٦ .
- ٥٢- ديوان الهذليين : ٢ / ١٥٩ - ١٦١ .
- أوفي / اشرف ، الحرف : أعلى الجبل ، دعبوب : الموطوء ، الجذل : العود ، الهدف: الثقيل
الوخم من الرجال ، القِنَّ : العبد ، المعازيبُ : الإبل ، المناجيب : الضعفاء الذي لا خير فيهم .
- ٥٣- جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير ، د. حسين الواد : ١٠٢ .
- ٥٤- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ٣١٥ - ٣١٦ .
- ٥٥- ديوان زهير بن أبي سلمى : ٥٨ - ٦٠ .

• المصادر

- ١- البطل الضد في شعر الصعاليك ، دراسة أسلوبية وظيفية (تأبط شراً ، الشنفرى ، عروة بن الورد) ، د. هند عبد الرزاق المطيري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٥ م .
- ٢- بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثة نجيب محفوظ ، د. سيزا قاسم .
- ٣- التخلف الاجتماعي ، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- ٤- تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط) ، د. نادر كاظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
- ٥- الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم ، د. سمر الديوب ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٩ م .
- ٦- جمالية الأنا في شعرا الأعشى الكبير ، د. حسين الواد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- ٧- خطاب الهوية ، سيرة فكرية ، د. علي حرب ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ٨- دراسة الأدب العربي ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م .
- ٩- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، عني بتحقيقه د. عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم السوري ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ١٠- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تح ، د. نعمان محمد أمين طه ، الناشر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٤٨٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ١١- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدّم له ، الأستاذ علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٢- ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه وشرحه ، د. أميل بديع يعقوب ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- ١٣- ديوان عنتر بن شداد العبسي ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، القاهرة ، د. ت .
- ١٤- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ، د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د. ت
- ١٥- ديوان الهذليين ، السكري ، دارالكتب المصرية ، ١٩٤٨ .
- ١٦- الرؤى المقنعة نحو منهج نبوي في دراسة الشعر الجاهلي ، د. كمال أبو ديب ، الهيئة المصرية لكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦ م .
- ١٧- الزمان الوجودي ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٥ .
- ١٨- الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، د. صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف بمصر ، د. ت .
- ١٩- السبع المعلقات ، مقارنة سيميائية انثروبولوجية لنصوصها ، د. عبد الملك مرتاض ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١١ م .
- ٢٠- سياسة جديدة للهوية ، المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، بيكو باريك ، ترجمة وتقديم : حسن محمد فتحي ، مراجعة : محمود ماجد عبد الحق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- ٢١- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق د. إحسان عباس ، وزارة الإرشاد والإسناد ، الكويت ، ١٩٦٢ .
- ٢٢- العزلة والمجتمع ، نيقولا بريائف ، ترجمة : فؤاد كامل عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د. ت .
- ٢٣- الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي ، تأليف : هيغل ، ترجمة جورج طرابيشي ، الناشر ، دار الطليعة للنشر ، ١٩٨٦ م .
- ٢٤- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة ، د. عبد الله الغدّامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩ م .
- ٢٥- القصيدة الجاهلية في المفضليات ، دراسة موضوعية فنية ، د. مي يوسف خليف ، الناشر ، مكتبة غريب ، مصر ، د. ت
- ٢٦- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م .

- ٢٧- كتاب الهوية ، د. حسن حنفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٢ م .
- ٢٨- مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ، ترجمة : سيزا قاسم ، دراز الانف ، مجلة البلاغة المقارنة ، القاهرة ، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، العدد (٦) ، ١٩٨٦ .
- ٢٩- كلام بدايات ، ادونيس ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٣ .
- ٣٠- معجم التعريفات ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، مصر . د. ت .
- ٣١- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات وآخرون ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات ، مكتبة الشرق ، ط٤ ، ٢٠٠٤ ، مادة الهوية : ١٩٩٨ .
- ٣٢- المفضليات ، شرح وتحقيق ، أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ط٩ ، ٢٠٠٦ .
- ٣٣- المكان في شعر الحرب ، محمد صادق جمعة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ م .
- ٣٤- المكان في شعر امرئ القيس ، قراءة هرمونيطيقية ، عبد الله محمد العابدي ، مجلة جذور ، ح ٣١ ، مجلد ١٢ ، جمادي الأولى ، ١٤٣٢ هـ - ابريل ٢٠١١ م .
- ٣٥- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام ، حيدر لازم مطلق ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ م .
- ٣٦- موسوعة الفلسفة ، الجزء الثاني ، د. عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات الفلسفية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٤ م .
- ٣٧- موسيقى الحوت الأزرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠١١ م .
- ٣٨- الوعي بالمكان ودلالته ، د. شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول ، مجلد (١٣) ، العدد (٤) ، ١٩٩٥ م .
- ٣٩- الهوية والسرد ، بول ريكور ، ترجمة : حاتم الورفلي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، المكتبة الفلسفية ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .